2012

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

مكفس عبد المالك

[تكنولوجيا الاتصال لـطلبة الماستر 1]

يتسم عصرنا الحالي بالتقدم العلمي والتقني الهائل والذي ساهم في إحداث كثير من التغيرات في شتى ميادين الحياة المختلفة،الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والتربوية وغيرها . وقد دخل مجتمعنا عصر التقنية من أوسع أبوابها فهو أحد المستهلكين لمنتجاتها المتنوعة ،لتنمي الدولة ذاتها وأفرادها عليها مواكبة غيرها من الدول المتقدمة والمتحضرة

ماهية الاتصال

هناك صعوبات أساسية في الوصول إلى تعريف شامل للفظة الاتصال وذلك لتنوع مجالاته، ولكن الكثير ومن علماء هذا العلم قاموا بتعريفه، فمثلاً هوفلافو " عرّف الاتصال بأنه العملية التي يُحدث بمقتضاها القائم بالاتصال تأثيراً لكي يعدل سلوك الأفراد الآخرين مستقبلي الرسال .

ويعرفه كولن شيري " بأنه العملية التي يتفاعل بمقتضاها مستقبل ومرسل الرسالة في مضامين اجتماعية معينة، وفي هذا التفاعل يتم نقل أفكار ومعلومات بين الأفراد عن مسألة محددة أو واقع معين، ولا يقصد بالمعلومات الحقائق والأخبار فقط، بل المقصود بذلك هو مضمون يعمل على التقليل من عدم اليقين أو عدد البدائل، وبهذا المعنى تدخل العواطف والحقائق والآراء والتوجيه والإقناع تحت اصطلاح الاتصال ' فنحن حين نتصل نحاول أن نشرك الآخرين ونشترك معهم في المعلومات والأفكار، من ثنايا ذلك فإن الاتصال يقوم على مشاركة المعلومات والتصورات والآرا .

أما تشارلس موريس " أننا عندما نستخدم اصطلاح الاتصال بشكل واسع النطاق، فإنه يتناول أي ظرف يتوافر فيه المشاركة في أمر معين .

شرا ' يعرف الاتصال بأنه عمومية موضوع معين بين أطراف معينة ذات علاقة محددة مع بعضها، وذلك بهدف خلق التوافق والانسجام بينهم، حيث تتحول الأفكار والمشاعر والأحاسيس إلى رموز مفهومة تستطيع وسائل الاتصال المختلفة نقلها إلى الأطراف المعينة التي تستطيع استقبالها وفهمها وفقاً لمكوناتها الفكرية والثقافي .

بولو " يرى أن الاتصال فن نقل المعلومات والأفكار والدوافع من شخص إلى آخر .

فتوح أبو العز " يعرف الاتصال بأنه الإجراء الذي يتم به تبادل الفهم بين الكائنات البشرية، أو هو العمل الذي عن طريقه تنتقل المعاني من إنسان لآخر أو من جماعة لأخرى .

حامد ربيع " يعرفه بأنه عملية نقل الأفكار والمعلومات من جهة إلى أخرى ، وعند القيام بعملية الاتصال .. فإن هذا يعني أننا حاول أن نخلق شيئاً مشتركاً بين شخصين على الأقل، والاتصال لذلك هو نقل رسالة من شخص إلى آخر من خلال رموز معينة، والهدف من نقل المفاهيم التي تتضمنها الرسالة هو إحداث تعيير في خصائص ومعالم الإدراك للطاقة التي يتولد فيها النشاط، وبمعنى أبسط فإن كلمة الاتصال في أوسع معانيها تعني نقل المفاهيم بقصد الإقناع، وهي عملية أساسها خلق الترابط في الحرك .

والآن وبعد استعراض هذه التعريفات للاتصال نجد الدكتور محمد نصر ' قد توصل لتعريف شامل للاتصال فيعرفه على أنه عملية نقل المعلومات والاتجاهات، وهو عملية مشاركة بين المستقبل والمرسل، فالمشاركة تعني الإزدواج في الوجود، وهو الأقرب إلى واقع العملية الاتصالية، فالأفكار والمعلومات تدخل في مدركات الفرد، والحقيقة يدركها أكثر من فرد ولا ينتهي وجودها بالنسبة لفرد ما، متى أدركها وعرفها آخر دون أخرين . وتأسيساً على ذلك فإن الاتصال هو عملية مشاركة في الأفكار والمعلومات عن طريق إرسال وتوجيه وتسيير، ثم استقبال بكفاءة معينة وخلق استجابة معينة في وسط اجتماعي معين .

أنواع الاتصال

تكمن مقومات الاتصال الأساسية في مصدر، رسالة، مستقبل، ومن هنا نستطيع أن نحدد أنواعاً مختلفة للاتصال ...

تعدد أطراف عملية الاتصال

الاتصال يمكن أن يكون فردياً أو جماعياً من حيث المرسل، وقد يكون فرداً أو جماعة من حيث المستقبل، ويمكننا القول أن للاتصال أربعة نماذج ...

- فردي مرسل وجماعي مستقبل .
- جماعي مرسل وجماعي مستقبل .
- فردي مرسل وفردي مستقبل .
- جماعي مرسل وفردي مستقبل (كما يحدث في الانتخابات)

والتفرقة بين أنواع الاتصال وفقاً للجوانب التي تشارك في العملية الاتصالية توضح أن المشاركة قد تكون بين فردين، ويُسمى هذا اتصالاً شخصياً، أو بين فرد وجماعة ويُسمى هذا اتصالاً جمعياً، أو بين مؤسسة وعدة جماعات متفرقة لا تتصل ببعضها ويُسمى هذا الاتصال اتصالاً جماهيرياً .

- العلاقة بين أطراف العملية الاتصالية

يمكننا أن نعرف بين الاتصال المباشر والاتصال غير المباشر .. ففي الاتصال المباشر تكون العلاقة بين المرسل والمستقبل علاقة مباشرة، أي وجهاً لوجه، وهذه هي الصورة التقليدية للحياة اليومية .

ولكن حين يدخل عنصر وسيط بين المرسل والمستقبل مثل الاتصال من خلال البرقية أو الهاتف يصبح الاتصال غير مباشر وأكثر ما تتضح هذه الصورة في الاتصال الجماهيري، حيث أن المرسل يخاطب أفراداً لا يعرفهم ولا يعرفونه معرفة شخصية، ولا يستطيع أن يتلقى منهم ما يفيد

تقبلهم أو رفضهم لرسالته، لأنه لا يتصل بهم اتصالاً باشراً، وإنما يستخدم وسيلة اتصالية معينة ذات تنظيم معقد، مرتفع التكاليف المادية فيما يتعلق بالاتصال الجماهيري .

- الوسيلة :

كما سبق توضيحه تجدون أن هناك اتصال مواجهي شخصي) واتصال آلي جماهيري .

الاتصال المواجهي يأخذ صورة التحديد بشخص المستقبل، بحيث تحقق عملية الاتصال تجانساً كاملاً بين المرسل والمستقبل . أما الاتصال الآلي فيعني تقديم وسائل مطابقة عن طريق استخدام آلات الطباعة، أو للنقل إلى عيوننا وآذاننا عن طريق التلفزيون والسينما والراديو حول ما يدور من أحداث في أنحاء العالم المختلف .

أي أننا وبصورة أخرى نستطيع القول أن الرسالة لا تتنوع أو تتكيف من حيث الطبيعة والخصائص تبعاً لشخص المستقبل، وإنما تفترض نموذجاً وتتوجه إليه من خلال أدوات تسمح بالتوزيع والانتشار الذي لا حدود له للرسالة الاتصالي .

- موضوع المادة الاتصالية :

بالطبع يمكننا التمييز بين الاتصال السياسي والاتصال الاجتماعي والاتصال الاقتصادي، حيث يمكن خلق درجة من درجات التداخل بين هذه الصور المختلفة للاتصال من خلال التمييز بين الاتصال الذاتي حيث عملية الاتصال تتم في اللقاء الفردي دون التعبير الخارجي عن وجودها، ثم الاتصال الشخصي، أي بين فرد وفرد آخر، ثم الاتصال الجمعي، حيث تتجه الرسالة من فرد معين إلى جماعة كالخطابة مثلاً، ثم الاتصال الجماهيري، حيث يحدث اتصال بين جماعة وجماع ... ***مثال ذلك .. الاتصال بين طائفة مهنية متخصصة (في الصحافة أو التلفزيون أو الراديو) والجمهور المتسع الذي يمثل (الجمهور المحلي أو القومي أو العالمي) .***

ثالثا : أنماط ونماذج الاتصال ...

تُعتبر عملية الاتصال عملية دنياميكية متصلة الحلقات .. كما أن الموقف الاتصالي هو موقف مركب لا نستطيع الحكم عليه على ضوء العناصر المعروفة في عملية الاتصال فقد .. بل يجب علينا الأخذ بالخلفية الثقافية والاجتماعية والنفسية في الاعتبار كذلك .. أي أن هناك اختلافاً في نوعية العناصر المكونة للعملية الاتصالي .. فضلاً عن المتغيرات المرتبطة بالموقف الاتصالي العا .. وعلى ذلك فالاستجابة التي تحدث نتيجة مثير معين أو عنصر معين في موقف اتصالي معين لا تتم بصورة منتظمة آلي . كتلك النتيجة التي تحدث عند تفاعل العناصر الكيميائية مثلاً بعضها مع بعض .

وإذا كان بعض المفكرين قد أشار إلى أن عملية الاتصال تتكون من عناصر ثلاثة على الأقل هي المصدر والرسالة والهدف " فإن مفكرين آخرين أهمهم لاسويل " قد أطلقوا السؤال التالي باعتباره معبراً عن عملية الاتصال بعناصرها الخمسة من يقول، ماذا،وبأي وسيلة، وإلى من، وما هو الأثر المتوقِ " ثم عدّل بعض الباحثين هذه العبارة وأضافوا إلى عناصرها عناصر أخرى أهمه :-

- الموقف الاتصالي
- الهدف الذي تسعى عملية الاتصال إلى تحقيق .
- رجع الصدى من المستقبل إلى المرسل، لأن المستقبل مفسر وليس جهاز تسجيل .
- الإطار الدلالي أي الخبرة المشتركة بين المرسل والمستقبل أي معرفة موضوع " الاتصال كسياسية أو اقتصاد أو عل ... فضلاً عن لغة الاتصال ذاته .

كما نقد باحثون آخرون عبارة لاسويل " على اعتبار أنها تسير في خط واحد، من المرسل إلى المستقبل دون اعتبار الخلفية الثقافية والنفسية والاجتماعي .. أي تحليل الرسال .. لأن الرسالة ليست أهم مقياس في نظره - للموقف الاتصالي .

كما وجه ستيفنسوز " نقده لنظرية لاسويل " على اعتبار أن الأخير يطالب بأن يحكم العالم علماء السياسة مشبهاً لاسويل " بأفلاطون في جمهوريته المثالية التي حبذ فيه - ضم - حكم الفلاسفة للعال .

وقد قدم ستيفنسوز " نظرية الإمتاع .. باعتبار أن التسلية والترويج يشكلان الجزء الأكبر والأهم في عملية الاتصال .. وإذا كانت بحوث الاتصال تهتم بتكوين الرأي العام عن طريق الحوار والمناقشة، فقد أصبح من الضروري كذلك أن تهتم بتكوين الذوق العام والثقافة عن طريق الإمتاعية كالقصص والفنون والآداب .. ولاحظ ستيفنسوز " مثلاً أن البرنامج الإذاعي الناجح هو الذي يحتوي على الأخبار السياسة والتعليقات والأحداث والكوارث وغيرها من الإيقاع الاتصالي الذي يمثل التوتر .. ثم يأتي بعد ذلك البرامج الموسيقية والغنائية والتمثيلية لتمثل الهدوء والإمتاع أي أنه إذا استمر الضغط الإعلامي أصبح الاتصال أمراً لا يُطاق، ولكن الفترات الإمتاعية تبدد الضغط وتريح المستمعين والمشاهدين .

وهناك نماذج وأنماط عدة لعملية الاتصال ويمكن أن نذكر على سبيل المثال نموذج شانون وويفر " للاتصال موضحاً بالرسم التالي :-

استقبال الإشارة

الرسالة أو الإشارة

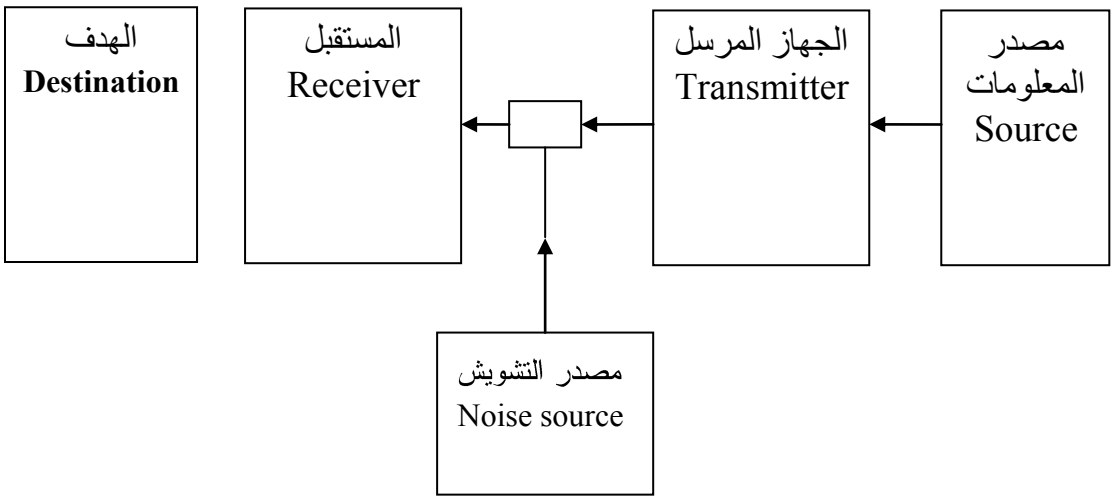

حيث يبين شانون " رحلة المعلومات من المصدر إلى وسيلة نقلها .. وقبل أن تصل إلى جهاز استقبالها ثم إلى هدفها، فإن هذه المعلومات قد تتعرض في الطريق إلى عوامل مختلفة ميكانيكية أو نفسية أو مدلولها ومعناه .. وهذا ما يُسمى بمصدر التشويش Noise source أي أن الرسالة المستقبلية Received messye سيدخل عليها تحريف أو أخطاء أو مواد غير موجودة في أصل الرسالة مما سيزيد في عملية الإلتباس وعدم فهم الرسالة على وجهها الصحيح .

أما نموذج شرام " Schramm " للاتصال يركز على الإطار الدلالي للمستقبل والمرسل، أي أنه لا يكفي أن تكون الرسالة في لغة يفهمها الطرفان، بل يجب أن يكون للطرفين خبرات مشتركة، كذلك بالنسبة لموضوع الرسالة نفسه .

أما لارزسفيلد " فقد ركز على نظرية الاتصال على مرحلتين Tow-Step communication على اعتبار أن الجمهور لا يتأثر بالرسالة مباشرة، بل يأتيه التأثير عن طريق قادة الرأي في الجماعة ومن هؤلاء ينتقل التأثير للآخرين .. والعكس صحيح في أن هؤلاء القادة هم الذين يصوغون آراء الجمهور ويعبرون عنها في وسائل الإعلام أو بغير ذلك من الطرق .